

# افتتاحية العدد



## افتتاحية العدد

بقلم أ.د. مساعد بن عبدالله النوح - عضو هيئة التحرير

يلجأ الباحث إلى استخدام البحث النوعي من اعتقاد مفاده أن الأساليب الإحصائية في مواقف معينة لا تقدم فهماً جيداً عن طبيعة الحالة التربوية ومضمونها. وعليه، فإنه يجعل من مُشاهدات معينة وآراء مكتوبة أو مسموعة أو تعليقات مصادر له عند التحليل والحكم، ويتطلب البحث النوعي توافر مهارات محددة لدى الباحث للربط فيما بين جميع وجهات النظر والمشاهدات من أجل الخروج بنتائج تحظى بثقة عالية.

وتمثل مجموعة التركيز (Focus Group) واحدة من أدوات البحث النوعي التي يختارها الباحث لتحقيق أهداف بحثه، وبالتالي نيل القبول والإجازة، ولها تكتيكها الخاص الذي يتمثل في أسسها المفاهيمية واعتباراتها المنهجية كبقية أدوات البحث التربوي المعروفة.

وبدايتها ليست بقريبة، إذ استُخدمت كطريقة للبحث في الأربعينيات في جامعة كولومبيا (Columbia University) عندما أُجري بحث عن برامج المذيع الطويلة، أثناء الحرب العالمية الثانية، فقد بدأ روبرت ميرتون (Robert Merton) تحليل مدى فاعلية الحملات الدعائية باستخدام مجموعات التركيز. وحصل بول لازارسفيلد (Paul Lazarsfeld) على عقد حكومي ليتعرف على انطباعات الأفراد تجاه الحملات الدعائية التي تدعو إلى الحرب عبر الإذاعة. وصمم ميرتون طريقة خلال البحث حيث يتمكن اثنا عشر مشاركاً في محطة الإذاعة من التفاعل مع ما يعارض معتقداتهم بالضغط على الزر الأحمر أو بالضغط على الزر الأخضر إن كان المحتوى يوافق معتقداتهم، وبذلك الطريقة صمم ميرتون طريقة لمعرفة آراء المشتركين وانطباعاتهم الشخصية، وبدأ ميرتون بعد ذلك بإجراء مجموعات التركيز في مكتب الأبحاث الاجتماعية التطبيقية في الولايات المتحدة قبل عام 1976، واشتهر استخدام مجموعات التركيز في الثمانينيات عندما نشر ميرتون تقريراً عنها، وكان إيرنست ديشتر عالم النفس وخبير التسويق أول من صاغ مصطلح مجموعة التركيز قبل موته سنة 1991.

ومع هذه البداية المبكرة لهذه الأداة، إلا أنه يقل الأخذ بها من قبل طلبة الدراسات العليا وأعضاء هيئة التدريس؛ لأسباب، مثل: ندرة تناولها في الإنتاجية العلمية في التربية، وقلة التدريب عليها، والحذر من طرق صدقها وثباتها وتحليل نتائجها والحكم عليها، وحاجتها إلى مزيد من الوقت والجهد والفطنة.

ولها تسميات مرادفة مثل جماعة التركيز أو المجموعة المركزة أو البؤرية أو مجموعة نقاش مركزة. وتعرف بأنها أداة لجمع المعلومات، حيث تعتمد نوعاً خاصاً من المقابلات من حيث الهدف والتصميم والإجراءات، كما أنها عبارة عن مناقشة مخططة بين 7-12 شخصاً تجمعهم اهتمامات مشتركة، وتستهدف الحصول على معلومات عن موضوع محدد في مناخ مريح وآمن.

وعلى الرغم من كونها أداة تقبل التوظيف في مجالات علمية نظرية وتطبيقية مختلفة، مع مراعاة الأطر الفكرية والمفاهيمية لكل علم، إلا أن هناك أخلاقيات يلتزم بها الباحث النوعي وأعضاء جماعته عند استخدام هذه الأداة، مثل: المحافظة على سرية المناقشات والمعلومات المتداولة مع المشاركين الآخرين، والمشاركة الجماعية، وتفاعل الكل مع بعضه، وتكون المشاركة من خلال التحدث الفردي، كل على حدة، واحترام أفكار الآخرين وتجنب التقليل منها، والحد من المحادثات الجانبية. ويحدث بين أفرادها نقاش غير رسمي حول موضوعات ذات أهمية من قبل المؤسسة، ويدار من قبل مُناقش، ومهمته طرح الأسئلة، وتوجيه النقاش، وضبط فترات المشاركات، في إطار الهدف أو الأهداف المحددة، ثم تحلل المؤسسة الاستجابات والملاحظات التي تعبر عن رأي الجمهور العريض في المجتمع عن موضوعات المناقشة.

وتعد خياراً ملائماً أمام الباحث النوعي إذا كان يتحلّى بسِمات شخصية كالانطلاقة، والبشاشة، وتوافر روح القيادة، والضبط الانفعالي، والفطنة، وسِمات مهنية كالالتدريب على تصميمها وتفعيلها، وتوافر الإمكانيات اللازمة. ومن أهداف استخدامها رغبة الباحث في الاستماع والتعلم من الآخرين، واكتشاف موضوعات تهمه من المشاركين خلال المناقشة، والحرص على الوصول إلى معرفة متعمقة من خلال الاستماع لأطروحات المشاركين، ومقارنة استجاباتهم وخبراتهم مع بعضهم البعض، والاهتمام بالإجابة عن كيف حدثت تفاصيل الموضوعات؟ ولماذا حدثت خلال المناقشة؟ وتحديد المشكلات المتصلة بالموضوعات المحددة والحلول لها، وتحسين فاعلية البحث من خلال تحديد الأعضاء أوجه القوة والضعف فيه، وإعداد خطة لبرنامج أو تصور لتطوير واقع لمشكلة البحث، ومعرفة ردود أفعال الجمهور المستهدف عن برنامج ما أو عمل معين، والكشف عن التفاوت بين إمكانيات أعضاء المجموعة، ورصد المعلومات والمهارات والاتجاهات والقيم ذات الأهمية.

هذا التعدد في أهداف اختيار الباحث النوعي جماعة التركيز لا يعفيه عن استخدام أداة أخرى من أدوات البحث التربوي، وتحدد ذلك أهداف بحثه وتوصيات اللجان البحثية في القسم العلمي الذي ينتمي إليه الباحث والكلية.

ومن المسلم به أن الحالات التربوية تتفاوت في ماهيتها، وعوامل نشوئها، وجمهورها المستهدف، وأغراضها، وآثارها، وحلولها، لذا فإنه من المنطقي أن تتعدد أنماطها، وقد رصدت أدبيات البحث العلمي والتربوي أنماطاً لجماعة التركيز، ومن أبرزها:

- حالات تربوية تناسبها مجموعة التركيز ثنائية الإشراف، وتتضمن مشرفين أحدهما يكون معنياً بوضع خطة لتنفيذ فعاليات الجلسة، والآخر يكون مسؤولاً عن طرح الأسئلة، وتلقي الإجابات، وضبط المشاركات، ومنع الأعضاء من الخروج عن صلب موضوعات الجلسة.

- وحالات أخرى تناسبها مجموعة التركيز ثنائية الاتجاه، وتتضمن مجموعتين، يتم إشعار إحدهما بما يجري في المجموعة الأخرى، مما يعطي أعضاء المجموعتين وجهات نظر أكثر نضجاً.

- وحالات تتلاءم معها مجموعة التركيز المصغرة، وتتضمن 4-5 أفراد، وهي تختلف عن المجموعة المعتادة التي تتشكل من 7-12 فرداً.

- وحالات تصلح معها مجموعة التركيز التي تتكون من العملاء، وتتضمن إلى جانب أعضاء مختارين للمشاركة عملاء أو الجمهور الذين لهم صلة بمشكلة البحث.

- وفريق التركيز الخاضع للمشاركين، حيث يشارك فرد أو أكثر من أعضاء المجموعة بشكل مؤقت، ويقوم بدور المشرف، وهذا يحد من التحيز وردود الأفعال الصادمة بسبب وجود أكثر من شخص يتولى المسؤولية.

- ومجموعة التركيز على الإنترنت، حيث تتم المناقشة عن بعد لمجموعة التركيز من خلال تبادل الآراء والتعليقات والملاحظات، وتتكون هذه المجموعة من ثلاثة أفراد هم: المناقش، والمشرف، والمستجيب.

ويعد عزوف طلبة الدراسات العليا وأعضاء هيئة التدريس عن جماعة التركيز في رسائلهم الجامعية والبحوث العلمية غير مبرر في ظل التطور المعرفي والتقني، وتوافر المتخصصين في منهجية البحث العلمي؛ لأنه من عوامل فعالية استخدام هذه الأداة:

- التدريب على إجراء مقابلات مع مجموعة التركيز لاسيما التي تتناسب وطبيعة أهداف البحث، وإن كان الباحث بارعاً بما فيه الكفاية فيمكن أن تكون النتيجة واضحة حول الموضوعات الرئيسة، وليس سهلاً تحقيق التحليل الدقيق للمعلومات التي تظهر من الدراسة من خلال أساليب مجموعة التركيز، وهذا يشير ببساطة إلى التطبيق المناسب لمجموعات التركيز، ولا يعني أنه لا ينبغي الاستمرار في استخدام التقنيات والبروتوكولات بعناية.

- تهيئة المناخ وتوفير الإمكانيات اللازمة لأنشطة لأعضاء مجموعة التركيز.

- تهيئة المناخ النفسي الملائم لمناقشات أعضاء المجموعة، وذلك يزيد من الشعور بالارتياح والثقة المتبادلة لطرد الإحساس بتصيد الأخطاء والزلات، وهذا بلا شك يؤثر إيجابياً من حيث البدء بجدة وتركيز ودقة في عرض التفاصيل، إضافة إلى أن جودة نتائج مجموعة التركيز تعتمد على المناقشة، وعلى استمراريتهم في مراحل المناقشة.

- يجب أن يتجنب المشرف التغيرات المفاجئة في الاتجاه أو الموضوع، وفي حال حدث شيء غير متوقع فأعضاء مجموعة التركيز على درجة من التأهيل العلمي والعمق الفكري والنضج المهني ما يجعلهم قادرين على تفسير سياق المناقشة وأن يجدوها منطقية ومريحة.

- المشاركة الجماعية من كل أعضائها، حتى تكون نتائج أبحاث مجموعة التركيز قوية.

هذه الفعاليات تجعل الباحثين قادرين على اتباع خطوات تفعيل جماعة التركيز بشكل مناسب، وتمثل في الخطوات الآتية:

**الخطوة الأولى،** تحديد موضوع البحث: إذ تعد جماعة التركيز في المقام الأول أسلوب بحث تأكيدى. بمعنى أن الإعداد المكثف للمناقشة يكون مفيداً للغاية لتأكيد أو دحض المعتقدات الموجودة مسبقاً. لهذا السبب فهي مفيدة لإجراء بحث توضيحي، حيث تستكشف سبب حدوث شيء ما عند توافر معلومات محدودة حوله.

**الخطوة الثانية،** تحديد نطاق البحث والفرضيات الخاصة: بعد اختيار الموضوع، يمكن للباحث البدء في التفكير فيما يتوقع أن تسفر عنه مناقشات مجموعة التركيز الخاصة به، وربما تكون هنالك دراسات سابقة حول موضوع البحث أو موضوع مشابه بدرجة كافية، يمكن الباحث استخدامها كنقطة بداية. إن لم تتم دراسة الموضوع جيداً من قبل فيجب أن يستخدم الباحث حدسه كباحث متمكن لتحديد ما يعتقد أنه يستحق الدراسة.

**الخطوة الثالثة،** تحديد الأسئلة التي سيطرحها الباحث على مجموعته المركزة: وهذه الخطوة مهمة للغاية؛ لتحليل الاستجابات. ويلزم الباحث أن يأخذ وقته فيها، مع الاهتمام بصياغة النتائج. وعليه أن يكون حذرًا لتجنب الأسئلة الإرشادية التي يمكن أن تؤثر في الإجابات.

**الخطوة الرابعة،** تحديد فرد أو أكثر من مشاركون في غرفة النقاش إذا كان يرغب في أخذ زمام المبادرة في طرح الأسئلة، ومهمته تنسيق النقاش، وتدوين الملاحظات، ومراقبة سلوك المشاركين، وما إذا كانت للفرضيات جوانب سلوكية.

**الخطوة الخامسة،** اختيار المشاركين/ المستجيبين اعتمادًا على موضوع البحث، ويمكن الأخذ بآليات تحديد العينات للمساعدة في الاختيار، مثل: اختيار العينات بشكل عشوائي، واختيار العينات بشكل مقصود، واختيار العينات وفقًا لمعايير محددة.

**الخطوة السادسة،** إعداد مجموعة التركيز الأولى: حيث إنها ليست مجرد مجموعة من الأشخاص الذين يجتمعون لمناقشة آرائهم، بل من الممكن أن تنطوي على الكثير من المتعة والراحة، وهذا لا ينتقص من كونها مدعومة بأساليب صارمة لتوفير ملاحظات قوية. ويمكن البدء في تنفيذ مجموعة التركيز من خلال العمليات الآتية: تأكيد الوقت والتاريخ في وقت مبكر (عادة لا يزيد النقاش في مجموعات التركيز عن 90 دقيقة)، والتأكيد على طبيعة النقاش، وما إذا كانت هنالك مداخلات خارجية، ومراعاة الاعتبارات الأخلاقية مثل: أن يكون المشاركون على دراية بموضوع النقاش وأسبابه بشكل مسبق، وإتاحة الفرصة للمشاركين من أجل التحضير قبل المشاركة إذا كانت هناك حاجة للتحضير المسبق، والتنفيذ الفعلي واستضافة المجموعة مع ملاحظة أي عوامل قد تؤثر على جودة النقاش.

**الخطوة السابعة،** تحليل البيانات للوصول إلى نتائج: فبعد الانتهاء من النقاشات التي أجراها الباحث من خلال مجموعات التركيز، يجب أن يقوم الباحث بنفسه ومنسقه المشاركون باستخلاص المعلومات وتسجيل الانطباعات الأولية للمناقشة، وإضافة أي نقاط بارزة أو مشكلات أو استنتاجات فورية توصل إليها، ونسخ وتنسيق بياناته. وهذا يتطلب تخصيص رقم أو اسم مستعار لكل مشارك لأغراض تنظيمية، وتفرغ التسجيلات، وإجراء تحليل البيانات المناسب عبر تصنيف المشاركين في فئات.

وليس غريباً أن تكون لهذه الأداة عيوب، لكن من المهم بمكان أن يتنبه الباحث ومشرفو المجموعة إلى هذه العيوب ويعملوا على الحد منها. ومن هذه العيوب:

- عند تحديد مجموعات التركيز بسرعة -يعتمد تكوين المجموعة في المقام الأول على مهام معينة- فقد يكون من بين المجموعة أعضاء لديهم آراء ووجهات نظر متضاربة تمامًا مع أعضاء آخرين في المجموعة ذاتها.

- يمكن لأعضاء المجموعة تشكيل انطباع عن فعالية المناقشة في الغرفة المجاورة بفعل وجود تقنيات الاتصال المرئي في الغرفتين في حالة مجموعة التركيز ثنائية الاتجاه، وهذا بالتالي يتسبب في حدوث برود بعض الأعضاء وتدني حماسهم للاستمرار في المشاركة.

- تتطلب جهداً تنظيمياً ومالياً كبيرين مسبقاً قبل بدء مراحل المقابلة وأثنائها وبعدها، ومهارات التهيئة هذه غير متوافرة لدى البعض.

- الشك في إحداث التغيير والابتكار من استجابات أعضاء المجموعة تجاه موضوعات ملحة في غضون جلسة جماعية مركزة لمدة ساعتين.

- ديناميات المجموعة؛ حيث إن هناك أعضاءً منفتحين، ويحاولون إقناع الآخرين برأيهم، في حين يكون هناك أعضاءً انطوائيين يميلون إلى الحفاظ على وجهة نظرهم الخاصة وراء الكواليس، وآخرون مشككون. ويعد دحض الرأي الصادق من كلا النوعين من الأشخاص في غضون فترة زمنية قصيرة إلى حد ما مهمة غير قابلة لتدخل لمشرف.

- بعض الأعضاء قد يكونون مجاملين، حيث إنهم لا يقولون الحقيقة، وإنما يقدمون إجابات ترضي إدارة المجموعة والأعضاء الآخرين، وعليه تتأثر القرارات بالعواطف والمشاعر المصطنعة.

- المشرف يؤثر في النتيجة، فقد يقوم مشرفو مجموعة التركيز ومديروها بأدوار رئيسة استناداً إلى مفهوم المناقشة، وعليه يجب أن يبرزوا النوايا الصادقة للأعضاء. فإن كان المشرف محبوباً بشكل خاص للعضو فستكون إجاباته وآراؤه مختلفة عما إذا كان العكس تماماً هو الحال.

وفق الله الجميع

\*\*\*